دَرَجَاتُ التَّضْمِيْنِ الْعَرُوْضِيِّ

د. محمد جمال صقر (*)

مُقَدِّمَةٌ

أَثَرُ عُمُوْمِ مَادَّةِ التَّضْمِيْنِ فِيْ الِاصْطِلَاْحِ

[١] لقد كان في قول العرب من مادة "ض، م، ن": " ضَمَّنَ الشَّيْءَ الشَّيْءَ أَوْدَعَهُ إِيَّاْهُ كَمَاْ تُوْدِعُ الْوِعَاْءَ الْمَتَاْعَ (...) وكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِيْ وِعَاْءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِيَّاْهُ"[١]، ما أغرى المشتغلين بعلوم اللغة العربية، بتعديد استعمالات مصطلح "التَّضْمِيْنِ" -وليس أعمّ من دلالة كلمة "الشَّيْءِ" (الشيء المُتَضَمَّن، أو الشيء المُضَمَّن)- فمن "تَضْمِيْنِ الْأَفْعَاْلِ" الذي يعتني به علم النحو، إلى "تَضْمِيْنِ الْأَبْيَاْتِ" الذي يعتني به علم العروض، حتى "تَضْمِيْنِ الْقَصَاْئِدِ" الذي يعتني به علم البلاغة. بل قد تعددت في العلم الواحد مفاهيمه، على نحو يوحي باضطراب استعماله، كما في علم العروض، ولا اضطرابَ ثَمَّ، بل تراث واحد متكامل المعالم، يَتَداولُ أهلُه مَعالمَه المختلفةَ حَفاوةً بآثار مُتأمِّليه.

ولقد تَكاملَتْ معالم التضمين عند الستة العروضيين الكبار (الخليل ١٧٥هـ، والأخفش ٢١٥هـ، وابن عبد ربه ٣٢٨هـ، وابن جني ٣٩٢هـ، والمعري ٤٤٩هـ، وابن رشيق ٤٥٩هـ) جميعا معا[٢]، تَكامُلًا يَستغرِقُ التأملَ.

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة.

١ ابن منظور: ض م ن.

٢ أما الخليل بن أحمد فواضع علم العروض وأول معلميه، الذي ضاع جسم كتابه فيه؛ فتنقلت روحه في أجسام الكتب الخالفة، ولم يخل معجمه "كتاب العين"، من إشارات عروضية لا غنى عنها. وأما الأخفش الأوسط فوارث علم الخليل، وصاحب "كتاب العروض" و"كتاب القوافي". وأما ابن عبد ربه فأحد الشعراء المجيدين، وصاحب "كتاب العقد الفريد" الذي جعل الجوهرة الثانية منه في أعاريض الشعر وعلل القوافي. وأما ابن جني فأحد أصحاب المتنبي، وصاحب كتابي "العروض" و"المعرب في شرح كتاب القوافي للأخفش"، الذي تناثرت له في سائر كتبه أفكار عروضية مهمة. وأما المعري ففيلسوف الشعراء الذي رصد مقدمة لزومياته لمسائلها القافوية، وتناثرت له في سائر كتبه كذلك أفكار عروضية مهمة. وأما ابن رشيق فأحد الشعراء المجيدين، وصاحب كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، الذي بَوَّبَ منه بابا للأوزان وبابا للقوافي.

التَّضْمِينُ الْعَرُوضِيُّ عِنْدَ الْخَلِيلِ وَالْأَخْفَشِ وابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ

[٢] لقد حَصَرَ ابنُ عبد رَبِّه التَّضْمِينَ الْعَرُوضِيَّ في تَعْلِيقِ البيتِ السابق بالبيت اللاحق: "هُوَ أَنْ لَا تَكُونَ الْقَافِيَةُ مُسْتَغْنِيَةً عَنِ الْبَيْتِ الَّذِيْ يَلِيْهَا"، ومَثَّلَه بقول النابغة الذي صار شِعَارَ التَّضْمِينِ وأُمَّ بَابِه:

"وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَىْ تَمِيْمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّيْ

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحَاتٍ تُنَبِّئُهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّيْ".

وقَبَّحَه: "وَهَذَاْ قَبِيْحٌ"، على رغم أنه استَكْثَرَ التَّضْمِينَ: " وَهُوَ كَثِيْرٌ فِي الشِّعْرِ"، فاتجه تقبيحه إلى دَرَجَةِ تَعَلُّقِ طَرَفَيِ البيتَيْنِ، "لِأَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مُتَعَلِّقٌ بِالْبَيْتِ الثَّانِيْ لَاْ يَسْتَغْنِيْ عَنْهُ"[1]- على رغم أن الخليل جَوَّزَ في التضمين مع ذلك أن يتعلق البيت اللاحق بالبيت السابق، ولم يُحَسِّنْ ولم يُقَبِّحْ: "الْمُضَمَّنُ مِنَ الشِّعْرِ مَاْ لَمْ يَتِمَّ مَعْنَى قَوَافِيْهِ إِلَّاْ فِي الَّذِيْ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَه، كَقَوْلِه:

يَاْ ذَا الَّذِيْ فِي الْحُبِّ يَلْحَىْ أَمَاْ

وَاللَّهِ لَوْ عُلِّقْتَ مِنْهُ كَمَاْ

عُلِّقْتُ مِنْ حُبِّ رَخِيْمٍ لَمَاْ"[2].

فأوحى بأن التضمين كله من خصائص الشعر الطبيعية، ولكنه مَثَّلَه بأبيات مُضَمَّنَة من جِهَتَيْها، كأنها الشِّعْرُ المَضْفُورُ[3]؛ فاستَفَزَّ الأخفشَ الذي سعى على أثره بالتنبيه على

---

١ ابن عبد ربه: ٥/٥٠٨.

٢ الفراهيدي: ٧/٥١.

٣ هي لابن أبي ربيعة -٤٩٢- في القسم الثالث (المنسوب إليه)، وروايتها:

"يَاْ ذَا الَّذِيْ فِي الْحُبِّ يَلْحَىْ أَمَاْ تَخْشَ عِقَابَ اللَّهِ [illegible]
تَعْلَمُ أَنَّ الْحُبَّ دَاْءٌ أَمَاْ وَاللَّهِ لَوْ حُمِّلْتَ مِنْهُ كَمَاْ
حُمِّلْتُ مِنْ حُبِّ رَخِيْمٍ لَمَاْ لُمْتَ عَلَى الْحُبِّ فَدَعْنِيْ وَمَاْ
أَطْلُبُ إِنِّيْ لَسْتُ أَدْرِيْ بِمَاْ قُتِلْتُ إِلَّاْ أَنَّنِيْ بَيْنَمَاْ
أَنَاْ بِبَابِ الْقَصْرِ فِيْ بَعْضِ مَاْ أَطْلُبُ مِنْ قَصْرِهِمُ إِذْ رَمَىْ
شِبْهُ غَزَالٍ بِسِهَامٍ فَمَاْ أَخْطَأَ سَهْمَاْهُ وَلَكِنَّمَاْ -

طَبيعيَّة التضمين: "فِي الشِّعْرِ التَّضْمِينُ"، ولم يَحُدَّهُ- إلى أن جعله في منزلة بين المَعيب والأحْسن: "لَيْسَ بِعَيْبٍ، وَإِنْ كانَ غَيْرُهُ أَحْسَنَ مِنْهُ"، ومَثَّله بمثالين يُوافقانِ مثال الخليل ويُخالفانه، أولهما قول حاتِمٍ:

"أَمَاْوِيَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَاْيَ بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَاْ مَاْءٌ لَدَيَّ وَلَاْ خَمْرُ

تَرَيْ أَنَّ مَاْ أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّنِيْ وَأَنَّ يَدِيْ مِمَّاْ بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ".

الذي يوافق مثال الخليل في تعليق كلا البيتين السابق واللاحق بعضهما ببعض، ويخالفه في درجة هذا التعليق[1]. والمثال الثاني قول النابغة (أُمّ الباب):

"وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَاْرَ عَلَىْ تَمِيْمٍ وَهُمْ أَصْحَاْبُ يَوْمِ عُكَاْظَ إِنِّيْ

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاْطِنَ صَاْلِحَاْتٍ أَتَيْنَهُمْ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّيْ"[2].

الذي يوافق مثال الخليل في درجة تعليقِ البيت السابق بالبيت اللاحق[3]، ويخالفه في استقامة انفراد البيت اللاحق. فإذا ذكرنا أن مثال الأخفش الثاني، هو وحده الذي صار أُمَّ باب التضمين، قَدَّرنا مبلغ اعتماد ابن عبد ربه وغيره على إشارات الأخفش وتنبيهاته وأمثلته[4].

التَّضْمِينُ الْعَرُوضِيُّ عِنْدَ ابْنِ جِنِّيْ

[٣] ولقد سعى ابن جني على أثر الأخفش، بتَوْثيق عُرُوبة التضمين: "مَذْهَبٌ تَرَاْهُ الْعَرَبُ وَتَسْتَجِيْزُهُ"، ثم انطلق من قول الأخفش نفسه وغيره: "إِنَّ كُلَّ بَيْتٍ مِنَ

- عَيْنَاْهُ سَهْمَاْنِ لَهُ كُلَّمَاْ أَرَاْدَ قَتْلِيْ بِهِمَاْ سَلَّمَاْ".

وهكذا طُبِعَتْ، وحقها أن يستقل كل شطر بسطر، لأنها كما قال الخليل بعقب كلامه السابق -وفعل ما قال-: "مَشْطُوْرَةٌ مُضَمَّنَةٌ، أيْ أُلْقِيَ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ نِصْفُهُ، وَبُنِيَ عَلَىْ نِصْفٍ".

١ فدرجة تعليق جملتي الأسلوب أدنى من درجة تعليق جزأي الجملة.

٢ الأخفش: ٦٥-٦٧.

٣ فكلا التعليقين من درجة تعليق جزأي الجملة الواحدة. وإن اقتران البيت السابق بالواو هنا اقترانا مهملا من اعتبار العلماء، لدليل تعليقه بما لم يُذْكَرْ، ودليل أهمية ما سأنتهجه في ضبط درجات التضمين.

٤ الأخفش: ١١٦؛ فقد نبه محقق كتاب القوافي على أثر الكتاب فيمن بعد الأخفش من العلماء.

الْقَصِيْدَة شِعْرٌ قَائِمٌ بِنَفْسِه"، إلى التحسين من التضمين والتقبيح، على حسب درجة عَلاقَةِ الطَّرَفَيْنِ المُضَمَّنَيْنِ النَّحْوِيَّة، في الأمثلة الآتية:

١ وَلَيْسَ الْمَالُ فَاعْلَمْهُ بِمَالٍ مِنَ الْأَقْوَامِ إِلَّا لِلَّذِيْ

يُرِيْدُ بِهِ الْعَلَاْءَ وَيَمْتَهِنُهُ لِأَقْرَبِ أَقْرَبِيْهِ وَلِلْقَصِيِّ

٢ وَمِثْلَ سَوَّارٍ رَدَدْنَاْهُ إِلَىْ

إِدْرَوْنِهِ وَلُؤْمِ إِصِّهِ عَلَىْ

أَلرَّغْمِ مَوْطُوْءَ الْحِمَىْ مُذَلَّلَاْ

٣ وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَاْرَ عَلَىْ تَمِيْمٍ وَهُمْ أَصْحَاْبُ يَوْمِ عُكَاْظَ إِنِّيْ

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاْطِنَ صَاْدِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّيْ

٤ أَصْبَحْتُ لَاْ أَحْمِلُ السِّلَاْحَ وَلَاْ أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيْرِ إِنْ نَفَرَاْ

وَالذِّئْبَ أَخْشَاْهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاْحَ وَالْمَطَرَاْ

فأما المثال الأول فمن التضمين القبيح "بِالْمَوْصُوْلِ وَالصِّلَةِ عَلَىْ شِدَّةِ اتِّصَاْلِ كُلِّ وَاْحِدٍ مِنْهُمَاْ بِصَاْحِبِهِ". وأما المثال الثالث فأخف من الأول، "لِأَنَّهُ لَيْسَ اتِّصَاْلُ الْمُخْبَرِ عَنْهُ بِخَبَرِهِ فِيْ شِدَّةِ اتِّصَاْلِ الْمَوْصُوْلِ بِصِلَتِهِ". وأما المثال الثاني فقد أورده على التشبيه بالمثال السابق: "وَمِثْلُهُ (...)"، بحيث يجوز أن يكون الثالثَ وأن يكون الأولَ؛ ومن ثم جَعَلْتُ درجته عنده بين درجتي الأول والثالث. وأما المثال الرابع فمن التضمين الحسن الذي انفردت فيه بالبيت اللاحق جملةٌ كانت تحتمل الاسمية والفعلية، فلَمَّا عُطِفَتْ على جملة فعلية في البيت السابق، رَجَحَتْ فعليَّتُها؛ "فَلَوْلَاْ أَنَّ الْبَيْتَيْنِ جَمِيْعًا عِنْدَ الْعَرَبِ يَجْرِيَاْنِ مَجْرَى الْجُمْلَةِ الْوَاْحِدَةِ لَمَا اخْتَاْرَتِ الْعَرَبُ وَالنَّحْوِيُّوْنَ جَمِيْعًا نَصْبَ الذِّئْبِ، وَلَكِنْ دَلَّ عَلَى اتِّصَاْلِ أَحَدِ الْبَيْتَيْنِ بِصَاْحِبِهِ وَكَوْنِهِمَاْ مَعًاْ كَالْجُمْلَةِ الْمَعْطُوْفِ بَعْضُهَاْ عَلَىْ بَعْضٍ، وَحُكْمُ الْمَعْطُوْفِ وَالْمَعْطُوْفِ عَلَيْهِ أَنْ يَجْرِيَاْ مَجْرَى الْعُقْدَةِ الْوَاْحِدَةِ، هَذَاْ وَجْهُ الْقِيَاْسِ فِيْ حُسْنِ التَّضْمِيْنِ".

ولقد ضبط ذلك كله بقوله: "كُلَّمَا ازْدَادَتْ حَاجَةُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِيْ وَاتَّصَلَ بِهِ اتِّصَالًا شَدِيْدًا كَانَ أَقْبَحَ مِمَّا لَمْ يَحْتَجِ الْأَوَّلُ إِلَى الثَّانِيْ هَذِهِ الْحَاجَةَ"[1]؛ فدَرَّجَ علاقات البيتين بتدريج حاجة أحدهما إلى الآخر، ولكنه حصر التضمين في تعليق البيت السابق بالبيت اللاحق، على رغم أن مثال التضمين الذي حَسَّنَه (المثال الرابع)، إنما هو عنده من تعليق البيت اللاحق بالبيت السابق!

التَّضْمِيْنُ الْعَرُوْضِيُّ عِنْدَ الْمَعَرِّيِّ

[٤] ثم أَعْرَضَ المَعَرِّيُّ في تحديد التضمين، عن حصره وعن الحكم عليه كليهما، ولكنه لمّا مَثَّلَه وَجَّهَ أمثلته على تَعليق البيت السابق بالبيت اللاحق –وإن نَبَّهَ على تَفاوُت دَرَجات التَّعليق، بالموازنة بين التَّضْمِيْنِ والإِغْرَامِ– متغافلا عما فيها من تعليق اللاحق بالسابق: "كَذَلِكَ التَّضْمِيْنُ، وَهُوَ أَلَّا يَتِمَّ الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ. وَالْإِغْرَامُ دُوْنَ التَّضْمِيْنِ؛ كَأَنَّ اقْتِضَاءَ التَّضْمِيْنِ أَشَدُّ مِنْهُ؛ إِذْ كَانَ التَّضْمِيْنُ مِثْلَ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي[2]

فَـ[إِنِّيْ] يَقْتَضِي الْخَبَرَ اقْتِضَاءً شَدِيْدًا، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ:

حَيْدَةُ خَالِيْ وَلَقِيْطٌ وَعَدِيْ * وَحَاتِمُ الطَّائِيُّ وَهَّابُ الْمِئِيْ

وَلَمْ يَكُنْ كَخَالِكَ الْعَبْدِ الَّذِيْ * يَأْكُلُ أَعْوَامَ الْجُدُوْبِ وَالسِّنِيْ

هَنَاتِ عَيْرٍ مَيِّتٍ غَيْرِ ذَكِيْ[3]

فَـ[الَّذِيْ] يَقْتَضِيْ تَمَامًا. وَالْإِغْرَامُ دُوْنَ هَذَا فِيْ الِاقْتِضَاءِ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَلَوْ كَانُوْا غَدَاةَ الْبَيْنِ مَنُّوْا وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُوْرَ عَلَى الْخِيَامِ

---

١ ابن منظور: ض، م، ن، نقلا عن المعرب كتاب ابن جني المفقود، كما حرر الدكتور عزة حسن محقق القوافي للأخفش، في مقدمة تحقيقه: ١٩.

٢ عَجُزُ أول بيتي النابغة السابقين، ولِأُمُوْمَتِهِمَا للباب يُكْتَفَى أحيانا بالإشارة إليهما.

٣ هكذا طبعت، وهي خمسة أبيات مشطورة، ينبغي أن يستقل كلٌّ منها بسطر.

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ فَرَأَيْتُ مِنْهَا بِجَنْبِ الْخِدْرِ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ

تَرَائِبَ يَسْتَضِيءُ الْحَلْيُ فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ بُذِّرَ فِي الظَّلَامِ

فَالْبَيْتَانِ الْأَوَّلَانِ فِيهِمَا إِغْرَامٌ. وَكَانَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ يَزْعُمُ أَنَّ الْإِغْرَامَ أَنْ يَتِمَّ وَزْنُ الْبَيْتِ وَلَا تَتِمَّ الْكَلِمَةُ، وَهَذَا لَا يُعْرَفُ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا يَتَعَمَّدُهُ الْمُحْدَثُونَ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ:

أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ جَاءَتْكَ مِنْ يَحْيَى بْنِ مَنْصُوْ

رٍ الْكَأْسُ فَخُذْهَا مِنْهُ صِرْفًا غَيْرَ مَمْزُوْ

جَةٍ جَنَّبَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ مِنَ السُّوْ"[1].

لقد استنقل المعري ما بين بيتي النابغة المشهورين (أمّ الباب) من تعلق إنّ واسمها بخبرهما، كما استنقل ما بين بيتي الراجز المجهول من تعلق الصلة بالموصول؛ فجعلهما من التّضمين بمنزلة واحدة، على رغم أن تَضمين الصلةِ أَشَدُّ عند ابن جني من تَضمين الخبر. ثم استَخَفَّ ما بين بيتي النابغة الآخرين من تعلق الجواب بالشرط، فجعله من الإغرام، وهو من نمط التضمين الذي مَثّله الأخفشُ ببيتي حاتم. ثم مضى في سبيل تَدْرِيجِ التَّعلُّق، إلى نمط مُحْدَثٍ مُتَعَمَّدٍ تنقسم فيه الكلمة الواحدة على البيتين كما تنقسم على شطري البيت المُدَوَّر، زُعِمَ هو الإِغْرَامَ، فاكتفى باستغرابه، وقد كان ينبغي أن يجعله من أشد التّضمِين ما دام الاقْتِضاء الذي فيه، أشد عنده من الذي في الإغرَام[2]!

التَّضْمِيْنُ الْعَرُوْضِيُّ عِنْدَ ابْنِ رَشِيْقٍ

[٥] ثم انصرف ابن رشيق إلى تَدْرِيجِ المُتَعلّقات وأَحكَامِها، متغافلا عما حَصَرَ به التّضمين في تَعليق البيت السابق بالبيت اللاحق: "التَّضْمِيْنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ الْقَافِيَةُ

١ المعري: ٤٤٦-٤٤٧

٢ أدونيس: ٢٢٣؛ ففي شعره هذا التعليق المستغرب الذي بدا لي تَدْوِيرًا قَصِيْدِيًّا -لا كالتَّدْوِيرِ البَيْتِيِّ المعروف الذي يذيب شطري البيت الواحد- يذيب أبيات القصيدة كلها بعضها في بعض، وكأنها بيت واحد؛ فظننته من إفراط معاصرينا في التعبير عن تكامل أنغام القصيدة، غافلا عمّا هنا مِنْ سَبْقِ بعض معاصري للمعري إليه!

أَوْ لَفظَةً مِمَّاْ قَبْلَهَاْ بِمَاْ بَعْدَهَاْ (...) وكُلَّمَاْ كَاْنَتِ اللَّفظَةُ المُتَعَلِّقَةُ بِالْبَيْتِ الثَّانِيْ بَعِيْدَةً مِنَ القَاْفِيَةِ كَاْنَ أَسْهَلَ عَيْبًا"– هبوطا من كونها كلمة قافية البيت السابق، كما في قول النَّاْبِغَةِ (أُمّ الباب) –وهو أشد ما حَضَرَه من أمثلة التضمين؛ إذ "اللَّفظَةُ المُتَعَلِّقَةُ" هي كلمة القافية نفسها– إلى كونها كلمةً قبلها، كما في قول كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ:

دِيَاْرُ الَّتِيْ بَتَّتْ حِبَاْلِيْ وَصَرَّمَتْ وكُنْتُ إِذَاْ مَا الْحَبْلُ مِنْ خُلَّةٍ صُرِمْ

فَزِعْتُ إِلَىْ وَجْنَاْءَ حَرْفٍ كَأَنَّمَاْ بِأَقْرَاْبِهَاْ قَاْرٌ إِذَاْ جِلْدُهَا اسْتَحَمْ

–وهو أخف من بيتي النابغة؛ إذ "اللَّفظَةُ المُتَعَلِّقَةُ" هي الشرط وأداته في عجز البيت– إلى كونها كلمة بعيدة عنها كما في قول إِبْرَاْهِيْمَ بْنِ هَرْمَةَ:

إِمَّاْ تَرَيْنِيْ شَاْحِبًا مُتَبَذِّلًا كَالسَّيْفِ يَخْلَقُ جَفْنُهُ فَيَضِيْعُ

فَلَرُبَّ لَذَّةِ لَيْلَةٍ قَدْ نِلْتُهَاْ وَحَرَاْمُهَاْ بِحَلَاْلِهَاْ مَدْفُوْعُ

وهو أخف من بيتي كعب؛ إذ "اللَّفظَةُ المُتَعَلِّقَةُ" هي الشرط وأداته في صدر البيت. ولكنه قال: "وَلَيْسَ مِنْهُ قَوْلُ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ:

لَعَمْرِيْ وَمَاْ دَهْرِيْ بِتَأْبِيْنِ هَاْلِكٍ وَلَاْ جَزَعًا مِمَّاْ أَصَاْبَ فَأَوْجَعَاْ

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَاْلُ تَحْتَ رِدَاْئِهِ فَتًى غَيْرَ مِبْطَاْنِ الْعَشِيَّاْتِ أَرْوَعَاْ".

وهو من باب القَسَم الذي ينبغي أن يُصنَّفَ مع باب الشرط في درجة واحدة؛ إذ "اللَّفظَةُ المُتَعَلِّقَةُ" هي القَسَم في صدر البيت السابق من بيتي مُتَمِّم، المتعلق بجوابه في البيت اللاحق، كما تعلق الشرط في صدر البيت السابق من بيتي إِبْرَاْهِيْمَ، بجوابه في البيت اللاحق.

لقد سعى ابن رشيق على أثر من سبقوه ولا سيما ابن عبد ربه أخو مَغْرِبِيَّتِه[1]، ولكنه أَوْفَىْ دُوْنَهُم على الغاية بِمَاْ جَوَّزَ أن تَحُولَ بين بَيْتَيِ التضمين "أَبْيَاْتٌ

---

[1] نصَّ الخليلُ وابنُ عبد ربه وابنُ رشيق جميعا، على أن المُعَلَّق في التَّضمين هو القوافي أو القافية، ولولا أن القوافي في كلام الخليل هي الأبيات، والقافية في كلام ابن عبد ربه وابن رشيق هي الكلمة التي تؤدي قافية البيت– لكان سَمْتُهُما في ذلك على أثره.

كَثِيرَةٌ بِقَدْرِ مَا يَتَّسِعُ الْكَلَامُ وَيَنْبَسِطُ الشَّاعِرُ فِي الْمَعَانِي، وَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ إِذَا أَجَادَ"[1]، ولو قد نَصَبَ آخرَ كلامه لأوله، لعَدَّلَ أوله بآخره؛ فلن يكون ما بَيْنَ بَيْتَيِ التَّضمينِ غريبًا عنهما كما يرى أستاذنا الدكتور محمد حماسة[2]، وعندئذ يَجُوزُ أن يَستَوْلِيَ التَّضمينُ على أبيات القصيدة من أطرافها كلها كما يرى أستاذنا الدكتور أحمد كشك[3]، ويَشِبُّ عن طَوقِ الحَصْرِ (تَوْجِيهِ التَّعْلِيقِ على تعليق السابق باللاحق فقط)، الذي طَوَّقَ صَدْرَ كلام ابن رشيق؛ فتَتَداخَلَ فيه العَلاقاتُ النَّحْوِيَّةُ، وتَتَدَرَّجَ الأحكامُ الوَصْفِيَّةُ، وتَتَأثَّرَ الإمكاناتُ الاستعماليَّةُ.

غَايَةُ الْبَحْثِ وَمَنْهَجُهُ وَمَادَّتُهُ

[٦] وإذا ذكرنا أن المُعَبِّرَ لا يستغني عند الحاجة عن استعمال البيت الواحد من أبيات القصيدة المستولي عليها التضمينُ، لم نجد بُدًّا من اختيار بعض القصائد الكاملة، وانتزاع البيت منها بعد البيت، وإنشاد كل منها وحده، مُتَناسينَ ما كان له سياق، ومُتَخَيِّلينَ ما يمكن أن يكون له، ثم موازنين بين ما كان وما صار، تَمْييزًا لدرجات التضمين الحقيقية، وتَنْبِيهًا على طَرَفٍ من أَسْرَارِ الْحِرَاكِ اللُّغَوِيِّ!

ولقد اخترت لذلك قصيدة النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ، التي اشتملت على بيتيه المشهورين (أُمِّ بَابِ تَمْثِيلِ التَّضمينِ). إنها ثلاثة وعشرون بيتا[4]، قالها لعُيَيْنَةَ ابْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيِّ عندما أراد أن يُخْرِجَ بني أَسَدٍ من حِلْفِ بني ذُبْيَانَ، انْتِقَامًا لبني عبس الذين لَمَّا قَتَلُوا من بني أَسَدٍ رَجُلا واحدًا قَتَلَ منهم بنو أَسَدٍ رَجُلَينِ اثْنَيْنِ- أوردها فيما يأتي مُفَصَّلَةَ الجُمَلِ مُرَقَّمَتَها[5]:

١ غَشِيتُ مَنَازِلًا بِعُرَيْتِنَاتٍ فَأَعْلَى الْجِزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ

٢ تَعَاوَرَهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ [حَتَّى عَفَوْنَ]٢ وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنٍّ/١

---

١ ابن رشيق: ١/١٧١-١٧٢.

٢ عبد اللطيف: ١٨٥.

٣ كشك: ٩٢.

٤ النابغة: ١٢٥-١٢٩.

٥ تتداخل الجمل أحيانا؛ فيضطرب ترتيبها؛ فتحتاج إلى الترقيم.

٣ وَقَفتُ بِهَا القَلُوصَ عَلَى اكتِئَابِ [وَذَاكَ تَفَارُطُ الشَّوقِ المُعَنِّي]٤

٤ أُسَائِلُهَا وَقَدْ سَفَحَتْ دُمُوعِيْ كَأَنَّ مَفِيضَهُنَّ غُرُوبُ شَنِّ

٥ بُكَاءَ حَمَامَةٍ تَدْعُوْ هَدِيْلًا مُفَجَّعَةً عَلَىْ فَنَنٍ تُغَنِّيْ/٣

٦ أَلِكْنِيْ [يَا عُيَيْنُ]٦ إِلَيكَ قَوْلًا سَأُهْدِيهِ إِلَيْكَ [إِلَيْكَ عَنِّيْ]٧

٧ قَوَافِيَ كَالسِّلَامِ إِذَا استَمَرَّتْ فَلَيْسَ يَرُدُّ مَذْهَبَهَا التَّظَنِّيْ

٨ بِهِنَّ أُدِيْنُ مَنْ يَبْغِيْ أَذَاتِيْ مُدَايَنَةَ المُدَايِنِ/٥ فَلْيَدِنِّيْ/٨

٩ أَتَخذُلُ نَاصِرِيْ/٩ وتُعِزُّ عَبسًا/١٠ أَيَرْبُوْعَ بْنَ غَيْظٍ لِلْمِعَنِّ/١١

١٠ كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِيْ أُقَيْشٍ يُقَعقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ/١٢

١١ تَكُوْنُ نَعَامَةً طَوْرًا/١٣ وَطَوْرًا هُوِيَّ الرِّيْحِ تَنْسِجُ كُلَّ فَنِّ/١٤

١٢ تَمَنَّ بِعَادَهُمْ/١٥ وَاستَبْقِ مِنْهُمْ/١٦ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتْرُكُ وَالتَّمَنِّيْ

١٣ لَدَىْ جَرْعَاءَ لَيْسَ بِهَا أَنِيْسٌ وَلَيْسَ بِهَا الدَّلِيْلُ بِمُطْمَئِنِّ/١٧

١٤ إِذَا حَاوَلْتَ فِيْ أَسَدٍ فُجُوْرًا فَإِنِّيْ لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّيْ/١٨

١٥ فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي استَلأَمْتُ فِيْهَا إِلَىْ يَوْمِ النِّسَارِ/١٩ وَهُمْ مِجَنِّيْ/٢٠

١٦ وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَىْ تَمِيْمٍ/٢١ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ/٢٢ إِنِّيْ

١٧ شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّيْ/٢٣

١٨ وَهُمْ سَارُوْا لِحُجْرٍ فِيْ خَمِيْسٍ وَكَانُوْا يَوْمَ ذَلِكَ عِنْدَ ظَنِّيْ

١٩ [وَهُمْ زَحَفُوْا لِغَسَّانٍ بِزَحْفٍ رَحِيْبِ السِّرْبِ أَرْعَنَ مُرْجَحِنِّ

٢٠ بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُوْ عَلَىْ أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

٢١ وَضُمْرٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنِّ]٢٥

٢٢ غَدَاةَ تَعَاوَرَتْهُ ثَمَّ بِيضٌ دُفِعْنَ إِلَيْهِ فِي الرَّهَجِ الْمُكِنِّ/٢٤

٢٣ وَلَوْ أَنِّيْ أَطَعْتُكَ فِيْ أُمُوْرٍ/٢٦ قَرَعْتُ نَدَامَةً مِنْ ذَاكَ سِنِّي/٢٧

ولقد أفضى بي انتزاع كل بيت من هذه القصيدة، وإنشاده وحده- إلى الوقوف على أبيات مُضَمَّنَة وأبيات عَدِيمَةِ التَّضمِينِ، ثم إلى الوقوف من تَضمِينِ المُضَمَّنَة، على ست درجات متصاعدة القوة، مُدَرَّجة على وَفْق درجات قُوى العلاقات النحوية المُقَطَّعة، على النحو الآتي.

دَرَجَاتُ التَّضمِيْنِ العَرُوْضِيِّ

التَّضمِيْنُ المُفْرَدُ التَّجْمِيعِيُّ

[٧] في هذه الدرجة الأولى من التضمين البيتان ٢١ و٢٣:

٢١ وَضُمْرٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنٍّ]٢٥

٢٣ وَلَوْ أَنِّيْ أَطَعْتُكَ فِيْ أُمُوْرٍ/٢٦ قَرَعْتُ نَدَامَةً مِنْ ذَاكَ[1] سِنِّي/٢٧

لقد كانت عبارة البيت ٢١ في قصيدته، جزءا (اسما مجرورا مشفوعا بمكملاته معطوفا على "كل مُجرِبٍ" في البيت ٢٠) من الجملة ٢٥ (الاسمية المعترضة في الجملة ٢٤)- فلما أُفرِدَ البيت ٢١ صارت عبارته جملة اسمية كاملة (مبتدؤها "ضُمْرٍ"، وخبرها "عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنٍّ")، جُرَّ مبتدؤُها بـ"رُبَّ" المحذوفة بعد واوها، وعُطِفَت الجملة كلها بواو "رُبَّ"[2]، على محذوفٍ مُقَدَّرٍ في نفس مستعمل البيت، معروفٍ حذفُه في أول الكلام[3].

وكانت عبارة البيت ٢٣ في قصيدته، هي الجملتين ٢٦و٢٧ (قسمي الجملة الشرطية الكاملة المستأنفة بالواو عن الجملة ٢٤)- فلما أُفرِدَ البيت ٢٣ بقيت عبارته

١ لولا رجوع اسم الإشارة إلى الإطاعة قبله، لازداد البيت تضمينا.

٢ الرضي : ١١١٨٨؛ فقد نبه على أن الأرجح في واو رُبَّ أنها العاطفة.

٣ ابن جني: ١/٥٠١؛ فقد قال في مطلع أرجوزة أبي نواس "وَبَلْدَةٍ فِيهَا زَوَرْ": "قِيلَ فِيْ هَذِهِ الْوَاوِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا لِلْعَطْفِ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا عِوَضٌ مِنْ رُبَّ؛ فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا هَرَبُوا مِنْ أَنْ يَجْعَلُوْهَا عَاطِفَةً لِأَنَّهَا فِيْ أَوَّلِ الْقَصِيْدَةِ وَأَوَّلُ الْكَلَامِ لَا يُعْطَفُ، وَلَا يَمْتَنِعُ الْعَطْفُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَدِيْثِ وَالْقَصَصِ؛ فَكَأَنَّهُ كَانَ فِيْ حَدِيْثٍ، ثُمَّ قَالَ: وَبَلْدَةٍ؛ فَكَأَنَّهُ وَكَلَ الْكَلَامَ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَالِ".

من داخلها على ما كانت، وعطفت بالواو من خارجها على محذوفٍ مقدرٍ في نفس مستعمل البيت كما سبق، معروفٍ حذفُه في أول الكلام.

ولا يخفى أن التضمين يحدث في هذه الدرجة من جهة واحدة؛ إذْ يَكْتَمِلُ في البيت المُفْرَدِ الكلامُ، وتتصدره واو لا تكون في إفراده إلا عاطفة، وليس قبلها ما تَعْطِفُ عليه؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير المعطوف عليه المفقود، وهو اشتغال ينبغي أن يُعَدَّ من الدرجة الأولى السُّفْلَى؛ إذ قد اشتمل البيت مع ذلك على كلام كامل، بل قد درج العرب على حذف مثل ذلك العاطف من صدر مثل هذا البيت، حماية لكمال الكلام الذي فيه، وصبروا على التغيير العروضي (الخَرْمِ)، اعتمادا على التعويض الإنشادي[1].

وليس أدل على خفة هذه الدرجة من إهمال العلماء لها وكأنْ ليست من التضمين أصلا، كما سبق في أول بيتي النابغة (أم الباب) المقترن بمثل هذه الواو– وسيأتي في الدرجة السادسة– وأول بيتي المثالين الأول والثاني عند ابن جني، وأول أبيات المثال الثاني عند المعري.

وإنما جعلت هذا التضمين تَجْميعيًّا، نسبة إلى لفظ تَجْمِيعِ المَقِيس على لفظ تَكْميل في مجاله الدلالي، وتَمْييزًا للتضمين بعطف الجملة هنا من التضمين بعطف جزء الجملة الذي سأجعله فيما يأتي تَكْميليًّا؛ ففي الواو العاطفة مطلق جمع، ولكن الجمع الذي في عطف بعض الجملة على بعض، أَخَصُّ من الذي في عطف الجمل الكاملة بعضها على بعض[2].

التَّضْمِينُ الْمُفْرَدُ الْإِضْمَارِيُّ

[8] في هذه الدرجة الثانية من التضمين الستة الأبيات ٢ و٣ و٤ و٨ و١٢ و١٧:

---

١ ابن جني: ب–١/٣٣٥؛ فقد أشار إلى أن من طريقة الجفاة الفصحاء من العرب (الحراص على اللغة)، أن يؤثروا تسليم اللغة على تسليم الوزن ما استقامت إلى تعويضه سبيل. وصقر: ١٧٠؛ فقد حررت من عادة العرب في إرسال الأمثال الحكمية إذا أخذوها من شعر، أن يطرحوا من أوائلها حروف العطف.

٢ ابن هشام: ٢/٣٠؛ فقد ذكر دلالتها على مطلق الجمع أول من غيرها، وعبادة: ٢٢١؛ فقد ذكر في المكملات التوابع ومنها المعطوف.

٢ تَعَاوَرَهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ [حَتَّى عَفَوْنَ]٢ وكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنِّ/١

٣ وَقَفْتُ بِهَا الْقَلُوصَ عَلَى اكْتِئَابٍ [وَذَاكَ[١] تَفَارُطُ الشَّوْقِ الْمُعَنِّي]٤

٤ أُسَائِلُهَا وَقَدْ سَفَحَتْ دُمُوعِي كَأَنَّ مَفِيضَهُنَّ غُرُوبُ شَنِّ

٨ بِهِنَّ أَدِينُ مَنْ يَبْغِي أَذَاتِي مُدَايَنَةَ الْمُدَايِنِ/٥ فَلْيَدِنِّي/٨

١٢ تَمَنَّ بِعَادَهُمْ/١٥ وَاسْتَبْقِ مِنْهُمْ/١٦ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَتْرُكُ وَالتَّمَنِّي

١٧ شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْرِ مِنِّي/٢٣

لقد اشتملت عبارة البيت ٢ في قصيدته على ضميري الغيبة "هُنّ" في "تَعَاوَرَهُنَّ" و"نَ" في "عَفَوْنَ" اللذين يعودان إلى "مَنَازِلًا" في البيت ١، وكانت العبارة جزءا (نعت "مَنَازِلًا" جملة فعلية ماضوية) من الجملة ١ (الفعلية الماضوية الابتدائية) مشتملا على الجملة ٢ (الفعلية الماضوية الاعتراضية المقترنة بـ"حَتَّى")- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ٢ صارت عبارته جملتين كاملتين فعليتين ماضويتين اعترضت ثانيتهما في أولاهما وابتدئ بأولاهما، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضميري المنازل إليه.

واشتملت عبارة البيت ٣ في قصيدته على ضمير الغيبة "هَا" في "بِهَا" الذي يعود إلى "مَنَازِلًا" في البيت ١، وكانت العبارة جزءا (فعلا وفاعلا ومكملات) من الجملة ٣ (الفعلية الماضوية المستأنفة عن الجملة ١) مشفوعا بالجملة ٤ (الاسمية الاعتراضية المقترنة بالواو)- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ٣ صارت عبارته جملتين كاملتين فعلية ماضوية واسمية عطفت ثانيتهما على أولاهما وابتدئ بأولاهما، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير المنازل إليه.

واشتملت عبارة البيت ٤ في قصيدته على ضمير الغيبة "هَا" في "أُسَائِلُهَا" الذي يعود إلى "مَنَازِلًا" في البيت ١، وكانت العبارة جزءا (فعلا وفاعلا ومكملات) من الجملة ٣ (الفعلية الماضوية المستأنفة عن الجملة ١)- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ٤ صارت

١ لولا رجوع اسم الإشارة إلى وَقْفِ الاكتئاب قبله، لازداد البيتُ تضمينًا.

عبارته جملة كاملة وحيدة فعلية مضارعية، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير المنازل إليه.

واشتملت عبارة البيت ٨ في قصيدته على ضمير الغيبة "هُنَّ" في "بِهِنَّ" الذي يعود في القصيدة إلى "قَوَافِيَ" في البيت ٧، وكانت العبارة جزءا (فعلا وفاعلا ومكملات) من الجملة ٥ (الفعلية الأمرية المستأنفة عن الجملة ٣) مشفوعا بالجملة ٨ (الفعلية المضارعية المعطوفة بالفاء على الجملة ٥)- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ٨ صارت عبارته جملتين كاملتين فعليتين مضارعيتين استؤنفت ثانيتهما عن أولاهما وابتدئ بأولاهما، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير القوافي إليه.

واشتملت عبارة البيت ١٢ على ضمير الغيبة "هُمْ" في "بِعَاْدَهُمْ" وفي "مِنْهُمْ" الذي يعود في القصيدة إلى يَرْبُوْعِ بْنِ غَيْظٍ رهط النابغة المذكورين في البيت ٩، وكانت العبارة هي الجملتين ١٥ (الفعلية الأمرية المستأنفة عن الجملة ١٤) و١٦ (الفعلية الأمرية المعطوفة على الجملة ١٥) المشفوعتين بجزء (إن المقترنة بفاء واسمها وصدر خبرها الجملة الفعلية المضارعية) من الجملة ١٧ (الاسمية المستأنفة بالفاء)- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ١٢ صارت عبارته ثلاث جمل كاملات فعليتين أمريتين واسمية استؤنفت ثالثتها عن ثانيتها وعطفت ثانيتها على أولاها وابتدئ بأولاها، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير القوم إليه.

واشتملت عبارة البيت ١٧ على ضمير الغيبة "هُمْ" في "لَهُمْ" و"أَتَيْتُهُمْ" الذي يعود إلى بني أَسَدٍ المذكورين في البيت ١٤، وكانت العبارة جزءا (خبر إن جملة فعلية ماضوية) من الجملة ٢٣ (الاسمية المستأنفة عن الجملة ٢٢)- فلَمّا أُفْرِدَ البيتُ ١٧ صارت عبارته جملة كاملة وحيدة فعلية ماضوية، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير بني أسد إليه.

ولا يخفى أن التضمين يحدث في هذه الدرجة من جهة واحدة كذلك[١]؛ إذْ يَكْتَمِلُ في البيتِ المُفْرَدِ الكلامُ، ويقع فيه بعض ضمائر الغيبة، وليس قبله في البيت ما يَرْجِعُ إليه؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير المرجع المفقود، وهو اشتغال ينبغي أن يُعَدَّ من الدرجة الثانية؛ إذ قد اشتمل البيت مع ذلك على كلام كامل ، بل قد درج شعراء العرب على إضمار ما جرت العادة على ذكره في الغرض المعين من الكلام، تعويلا على دلالة العرف اللغوي[٢]. وإنما جعلته من الدرجة الثانية لا الأولى، بما كان في أثناء تركيب الجملة نفسها لا فيما بعد كمالها، وبألّا سبيل إلى حذفه مثل العاطف في التضمين التَّجْميعيّ.

وينبغي ألا يُعَدَّ من هذا التضمين الإضماري، اشتمالُ البيت على أيٍّ من ضمائر التكلم أو الخطاب؛ إذ يتجه ضمير التكلم عندئذ إلى منشد البيت، مفردا كان الضمير على جهة الحقيقة أو غير مفرد على جهة المجاز- ويتجه ضمير الخطاب إلى متلقي البيت.

التَّضْمينُ الْمُرَكَّبُ التَّجْميعيُّ الْإِضْمَارِيُّ

[٩] في هذه الدرجة الثالثة من التضمين الثلاثة الأبيات ١٥ و١٨ و١٩:

١٥ فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلْأَمْتُ فِيهَا إِلَىْ يَوْمِ النِّسَارِ/١٩ وَهُمْ مِجَنِّي/٢٠

١٨ وَهُمْ سَارُوْا لِحُجْرٍ فِيْ خَمِيْسٍ وَكَانُوْا يَوْمَ ذَلِكَ عِنْدَ ظَنِّيْ

١٩ [وَهُمْ زَحَفُوْا لِغَسَّانٍ بِزَحْفٍ رَحِيْبِ السِّرْبِ أَرْعَنَ مُرْجَحِنٍّ

---

١ من آثار حصر التضمين (توجيه التعليق على تعليق السابق باللاحق فقط) الذي ذكرتُه في المقدمة، إهمال هذا التضمين الإضماري؛ قال الإسنوي -٣٧٧-: "لَوْ كَانَ مَعْنَى الْبَيْتِ مُتَوَقِّفًا عَلَىْ مَا قَبْلَهُ بِعَوْدِ ضَمِيْرٍ مِنْهُ عَلَيْهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِتَضْمِيْنٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمُصَنِّفِ". أراد قول ابن الحاجب في متن الصفحة ٣٧٦:

"تَضْمِيْنُهُمْ أَنْ يَكُوْنَ الْبَيْتُ مُفْتَقِرًا إِلَى الَّذِيْ بَعْدَهُ كَأَنَّهُ وُصِلَا".

وقد اتضح نقص هذا الحصر، وأنه كان مفهوما غير مستغن عن سائر مفاهيم التضمين المتداولة.

٢ المورد: ٢٥١/٣؛ فقد حمل قول عَلْقَمَةَ بْنِ عَبَدَةَ في مطلع قصيدته:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُوْدِعْتَ مَكْتُوْمُ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُوْمُ

من إضمار المعلوم -قال- "لِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ يُرِيْدُ حَبِيْبَةً لَهُ".

لقد كانت عبارة البيت ١٥ في قصيدته، هي الجملتين ١٩ (الاسمية المستأنفة بالفاء عن الجملة ١٨) و٢٠ (الاسمية المعطوفة بالواو على الجملة ١٩)، واشتملت العبارة مع ذلك على ضمير الغيبة "هُمْ" الذي يعود إلى بني أسد في البيت ١٤- فلَمَّا أُفْرِدَ البيتُ ١٥ بقيت الجملة الثانية من عبارته معطوفة بالواو على الأولى وعُطِفَت الجملة الأولى بالفاء على محذوفٍ مقدرٍ في نفس مستعمل البيت كما سبق، معروفٍ حذفُه في أول الكلام- ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعمال البيت ما يتحمل رجوع ضمير بني أسد إليه.

وكانت عبارة البيت ١٨ في قصيدته، جزءا (مبتدأ وبعض خبر) من الجملة ٢٤ (الاسمية المعطوفة بالواو على الجملة ١٩)[1]، واشتملت العبارة مع ذلك على ضمير الغيبة المنفصل "هُمْ" في "وَهُمْ" والمتصل الواو في "سَارُوا" و"كَانُوا"، الذي يعود إلى بني أسد في البيت ١٤- فلَمَّا أُفْرِدَ البيتُ ١٨ عُطِفَت الجملة في عبارته بالواو على محذوفٍ مقدرٍ في نفس مستعمل البيت كما سبق، معروفٍ حذفُه في أول الكلام- ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعمال البيت ما يتحمل رجوع ضمير بني أسد إليه.

وكانت عبارة البيت ١٩ في قصيدته، جزءا (مبتدأ وبعض خبر) من الجملة ٢٥ (الاسمية المعترضة بالواو في الجملة ٢٤)- فلَمَّا أُفْرِدَ البيتُ ١٩ عُطِفَت الجملة في عبارته بالواو على محذوفٍ مقدرٍ في نفس مستعمل البيت كما سبق، معروفٍ حذفُه في أول الكلام- ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعمال البيت ما يتحمل رجوع ضمير بني أسد إليه.

ولا يخفى أن التضمين يحدث في هذه الدرجة من جهتي التجميع والإضمار السابقتين جميعا معا؛ إذ يكتمل في البيت المفرد الكلام، وتتصدره الواو العاطفة أو إحدى أخواتها، ويقع فيه بعض ضمائر الغيبة، وليس للعاطف قبله في البيت ما يَعْطِفُ عليه، ولا لضمير الغيبة ما يَرْجِعُ إليه؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير المعطوف عليه والمرجع المفقودين، وهو اشتغال ينبغي أن يُعَدَّ من الدرجة الثالثة؛ فمهما يكن

١ فالعطف بالواو إنما هو على المعطوف عليه الأول.

اشتمال البيت على كلام كامل، فقد اجتمعت فيه جهتا التضمين السابقتين، ولا ريب في أن درجة اشتغال التفكير بجهتين أعلى من درجة اشتغاله بجهة واحدة، وإن درج العرب على حذف مثل ذلك العاطف من صدر مثل هذا البيت، حماية لكمال الكلام الذي فيه، صبرا على التغيير العروضي (الخَرْم) كما سبق، واعتمادا على التعويض الإنشادي- وعلى إضمار ما جرت العادة على ذكره في الغرض المعين من الكلام، تعويلا على دلالة العرف اللغوي.

وينبغي ألا يُعَدّ من التَّضمين اشتمالُ البيت على أيٍّ من الأعلام؛ إذ يصير كل منها عند استعماله علما على الجنس المفهوم منه؛ فيصير "يَـوْمِ النِّـسَارِ" هو يوم الحرب، و"حُجْرٍ" هو النصير، و"غَسَّانِ" هو الخصيم، وهكذا[1]!

التَّضمينُ المُفْرَدُ التَّكْميليُّ

[١٠] في هذه الدرجة الرابعة من التضمين الأربعة الأبيات ٥ و٧ و١٣ و٢٠:

٥ بُكَاءَ حَمَامَةٍ تَدْعُوْ هَدِيْلًا مُفَجَّعَةً عَلَىْ فَنَنٍ تُغَنِّيْ/٣

٧ قَوَافِيَ كَالسِّلَامِ إِذَا اسْتَمَرَّتْ فَلَيْسَ يَرُدُّ مَذْهَبَهَا التَّظَنِّيْ

١٣ بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُوْ عَلَىْ أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

٢٠ لَدَىْ جَرْعَاءَ لَيْسَ بِهَا أَنِيْسٌ وَلَيْسَ بِهَا الدَّلِيْلُ بِمُطْمَئِنِّ/١٧

لقد كانت عبارة البيت ٥ في قصيدته، جزءا (اسما منصوبا مضافا مشفوعا بمكملات مضافه، مفعولا مطلقا للفعل "سَفَحَ" في البيت ٤ نيابة عن مصدره) من الجملة ٣ (الفعلية الماضوية المستأنفة عن الجملة ١)- فلما أُفْرِدَ البيت ٥ بقيت عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها.

---

١ قال ابن مالك -١٨٠/١-: "قَدْ يَتَنَكَّرُ الْعَلَمُ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا فَيَجْرِيْ مَجْرَى النَّكِرَةِ". وقال ابن يعيش -١٠٤/٢-: "الْعَلَمُ إِذَا اشْتَهَرَ بِمَعْنًى مِنَ الْمَعَانِيْ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْجِنْسِ الدَّالِّ عَلَىْ ذَلِكَ الْمَعْنَى". ولكن يقتضي التدقيق أن يصنف هذا العلم في قسم عَلَمِ الْجِنْسِ لا اسْمِ الْجِنْسِ؛ إذ قد تَمَيَّزَتْ له في فهم مستعمله ومتلقيه، مَعالِمُ خاصَّةٌ، وعَلَمُ الْجِنْسِ -السيوطي في الهمع: ٧٠/١، عن عبادة: ١٨٧- هو "مَا دَلَّ عَلَىْ مُعَيَّنٍ فِي الذِّهْنِ"- وعندئذ تتحلَّى حَظْوى علم الجنس أحصى أقسام العلم على القبول!

وكانت عبارة البيت ٧ في قصيدته، جزءا (اسما منصوبا مشفوعا بمكملاته، بدلا من المفعول به "قَولًا" في البيت ٦) من الجملة ٥ (الفعلية الأمرية المستأنفة عن الجملة ٣)- فلما أُفرِدَ البيت ٧ بقيت عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها.

وكانت عبارة البيت ١٣ في قصيدته، جزءا (ظرف مكان مشفوعا بمكملات مضافه، متعلقا بالفعل "تُتْرَكُ" في البيت ١٢) من الجملة ١٧ (الاسمية المستأنفة عن الجملة ١٦)- فلما أُفرِدَ البيت ١٣ بقيت عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها.

وكانت عبارة البيت ٢٠ في قصيدته، جزءا (جارا مشفوعا بمكملات مجروره، متعلقا بالفعل "زَحَفَ" في البيت ١٩) من الجملة ٢٥ (الاسمية المعترضة في الجملة ٢٤)- فلما أُفرِدَ البيت ٢٠ بقيت عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها.

ولا يخفى أن التضمين في هذه الدرجة يحدث من جهة واحدة؛ إذ ينقص في البيت الكلامُ؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير الجزء الناقص، وهو اشتغال ينبغي أن يُعَدَّ من الدرجة الرابعة - وإن كان في الدرجة الثالثة تضمينٌ مركب- إذ لم يشتمل البيت على كلام كامل أصلا، ولا ريب في أن درجة اشتغال التفكير بتكميل الناقص، أعلى من درجة اشتغاله بعطف كلام كامل وإرجاع بعض ضمائره؛ إذ يحار التفكير في اختراع ما يكمل به الناقص، على حين يهتدي سريعا إلى وجه علاجِ فَقْدِ المعطوف عليه الكلامُ الكاملُ، ووجه علاجِ فَقْدِ مرجعِ ضميرِ الغيبة.

التَّضْمِينُ الْمُرَكَّبُ التَّكْمِيلِيُّ الْإِضْمَارِيُّ

[١١] في هذه الدرجة الخامسة من التضمين البيت ٢٢:

٢٢ غَدَاْةَ تَعَاْوَرَتْهُ ثَمَّ بِيضٌ دُفِعْنَ إِلَيْهِ فِي الرَّهَجِ الْمُكِنِّ/٢٤

لقد كانت عبارة هذا البيت ٢٢ في قصيدته، جزءا (ظرف زمان مضافا مشفوعا بمكملات مضافه، متعلقا بالفعل "سار" في البيت ١٨) من الجملة ٢٤ (الاسمية المعطوفة بالواو على الجملة ١٩)، واشتملت العبارة مع ذلك على ضمير غيبة في "تَعَاوَرَتْهُ" يعود إلى "حُجْرٍ" في البيت ١٨- فلما أفرد البيت ٢٢ بقيت عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها، ووجب أن يُعْهَدَ في سياق استعماله ما يتحمل رجوع ضمير حُجْرٍ إليه.

ولا ريب في أن التضمين يحدث في هذه الدرجة من جهتي التكميل والإضمار السابقتين جميعا معا؛ إذ ينقص في البيت الكلامُ، ويقع فيه بعض ضمائر الغيبة؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير الجزء والمرجع المفقودين، وهو اشتغال ينبغي على التفصيل السابق ، أن يُعَدَّ من الدرجة الخامسة؛ فقد انضاف الإضمار إلى التكميل الذي انفرد من قبل بالدرجة الرابعة.

التَّضْمِينُ الْمُرَكَّبُ التَّجْمِيعِيُّ الْإِضْمَارِيُّ التَّكْمِيلِيُّ

[١٢] في هذه الدرجة السادسة البيت ١٦:

١٦ وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَىْ تَمِيمٍ/٢١ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ/٢٢ إِنِّيْ

لقد كانت عبارة هذا البيت ١٦ في قصيدته، هي الجملة ٢١ (الاسمية المعطوفة بالواو على الجملة ٢١) والجملة ٢٢ (الاسمية المعطوفة بالواو على الجملة ٢١ كذلك[١]) وجزءا (إن واسمها ضمير التكلم) من الجملة ٢٣ (الاسمية المستأنفة عن الجملة ٢٢)، واشتملت العبارة مع ذلك على ضمير الغيبة "هُمْ" الذي يعود إلى بني أسد في البيت ١٤- فلَمَّا أُفْرِدَ البيتُ ١٦ عُطِفَت الجملتان الأوليان من عبارته على محذوف مقدر في نفس مستعمل البيت، معروف حذفه في أول الكلام، ووَجَبَ أن يُعْهَدَ في سياق استعمال البيت ما يتحمل رجوع ضمير بني أسد إليه، وبقيت الجملة الثالثة من عبارته ناقصة، واحتاج إلى أن يكون في سياق استعماله ما يكملها.

---

١ العطف بالواو إنما هو على المعطوف عليه الأول.

ولا يخفى أن التضمين يحدث في هذه الدرجة من جهات التجميع والتكميل والإضمار الثلاث السابقات جميعا معا؛ إذ ينقص في البيت الكلام، وتتصدره الواو العاطفة أو إحدى أخواتها، ويقع فيه بعض ضمائر الغيبة؛ فيشتغل تفكير مستعمل البيت بتقدير المعطوف عليه والمرجع والجزء المفقودات، وهو اشتغال ينبغي على التفصيل السابق، أن يُعَدَّ من الدرجة السادسة العليا؛ فقد اجتمعت فيه جهات التضمين الثلاث السابقات كلهن جميعا معا، ولا ريب في أن درجة اشتغال التفكير بجهات التضمين كلهن جميعا معا، أعلى من درجة اشتغاله ببعضها.

لقد كان هذا البيت ١٦ من قصيدة النابغة (مادة البحث) -ومازال- شِعار التضمين وأُمَّ بابه، حتى لقد ظن بعض العروضيين فيما سبق، أن التضمين منحصر في تعليق البيت السابق بالبيت اللاحق، على مثل ما عُلِّق هذا البيت ١٦ بالبيت ١٧ من قصيدته، على رغم أن هذا البيت ١٦ هو نفسه مُعَلَّق كما بَيَّنْتُ بالبيتين السابقين ١٤ و١٥! ولكن لما كان تعليقه بالبيت ١٥ تَجْميعيًّا، وتعليقه بالبيت ١٤ إضْماريًّا، وكلاهما أسفل درجة من تعليقه بالبيت ١٧ اللاحق الذي كان تَكْميليًّا- انصرف بعض العروضيين في تضمينه عن تعليقه بما قبله إلى تعليقه بما بعده!

ولا أنكر لطافة ما انتبه إليه بعض المستعربين في خصوصية تعليق آخر هذا البيت ١٦ بالبيت ١٧، من وروده في سياق مفاخرة قبلية، أراد النابغة أن ينبه فيها على نفسه، فوقف في كلمة القافية على "إِنِّي"، ثم كَمَّلَ الجملة في البيت اللاحق[1]! ولكن ينبغي ألا نفرق في مثل هذا التكميل بين تعليق البيت السابق بالبيت اللاحق وبين تعليق البيت اللاحق بالبيت السابق؛ فإن الأمثلة الأربعة التي وقفتُ عليها في درجة التضمين المُفْرَدِ التَّكْميلِيِّ من قصيدة النابغة (مادة هذا البحث)، يجوز عند استعمال البيت منها مفردا، أن يُكمل من آخره بمثل ما يكمل من أوله، على تقدير أن في سياق استعماله تقديما وتأخيرا، كأن يقال مثلا في الأبيات ٥ و٧ و١٣ و٢٠:

٦ بُكَاْءَ حَمَاْمَةٍ تَدْعُوْ هَدِيْلًا مُفَجَّعَةٍ عَلَىْ فَنَنٍ تُغَنِّيْ... أَبْكِيْ،

---

١ ربابعة: ٧٩.

٧ قَوَافِيَ كَالسِّلَامِ إِذَا اسْتَمَرَّتْ فَلَيْسَ يَرُدُّ مَذْهَبَهَا التَّظَنِّيْ... أُلْقِيْ،

١٣ لَدَىْ جَرْعَاْءَ لَيْسَ بِهَاْ أَنِيْسٌ وَلَيْسَ بِهَا الدَّلِيْلُ بِمُطْمَئِنٍّ... تُتْرَكُ،

٢٠ بِكُلِّ مُجَرِّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُوْ عَلَىْ أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنٍّ... زَحَفُوْا!

... وهكذا، وعندئذ تستوي جهتا التعليق!

عَدَمُ التَّضْمِيْنِ

[١٣] بقيت من القصيدة الستة الأبيات ١ و٦ و٩ و١٠ و١١ و١٤:

١ غَشِيْتُ مَنَاْزِلًا بِعُرَيْتِنَاْتٍ فَأَعْلَى الْجِزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ

٦ أَلِكْنِيْ [يَاْ عُيَيْنُ]٦ إِلَيْكَ قَوْلًا سَأُهْدِيْهِ إِلَيْكَ [إِلَيْكَ عَنِّيْ]٧

٩ أَتَخْذُلُ نَاْصِرِيْ/٩ وَتُعِزُّ عَبْسًا/١٠ أَيَرْبُوْعَ بْنَ غَيْظٍ لِلْمِعَنِّ/١١

١٠ كَأَنَّكَ مِنْ جِمَاْلِ بَنِيْ أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ/١٢

١١ تَكُوْنُ نَعَاْمَةً طَوْرًا/١٣ وَطَوْرًا هُوِيَّ الرِّيْحِ تَنْسِجُ كُلَّ فَنِّ/١٤

١٤ إِذَاْ حَاْوَلْتَ فِيْ أَسَدٍ فُجُوْرًا فَإِنِّيْ لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّيْ/١٨

لقد كانت عبارة البيت ١ في قصيدته، جزءا (فعلا وفاعلا ومكمــلات) مــن الجملة ١ (الفعلية الماضوية الابتدائية)- فلَمّا أُفرِدَ البيتُ ١ صارت عبارته جملة كاملة وحيدة.

وكانت عبارة البيت ٦ في قصيدته، جزءا (فعلا وفاعلا ومكملات) من الجملة ٥ (الفعلية الأمرية المستأنفة عن الجملــة ٣) ثــم الجملتــين الكــاملتين ٦ (الفعليــة المضارعية المعترضة في الجملة ٥) و٧ (الاسمية المعترضة في الجملــة ٥)- فلَمّــا أُفرِدَ البيتُ ٦ صارت عبارته ثلاث جمل كاملة، ابتدائيةً فمعترضتين في الابتدائية.

وكانت عبارة البيت ٩ في قصيدته، ثلاث جمل كاملات: الجملة ٩ (الفعليــة المضارعية المستأنفة عن الجملة ٨)، فالجملتين الفعليتين المضارعيَّتَيْنِ ١٠ (المعطوفة

على ٩)، فالجملة ١١ (المستأنفة عن ٩)- فلمّا أُفرِدَ البيتُ ٩ استقلت عبارته بثلاث الجمل على مواقعها، ولكن صارت الأولى ابتدائية.

وكانت عبارة البيت ١٠ في قصيدته، هي الجملة الكاملة ١٢ (الاسمية المستأنفة عن الجملة ١١)- فلما أفرد البيت ١٠ استقلت عبارته بالجملة وحيدةً.

وكانت عبارة البيت ١١ في قصيدته، هي الجملتين الكاملتين: ١٣ (الاسمية المنسوخة المستأنفة عن الجملة ١٢)، فالجملة ١٤ (الفعلية المعطوفة بالواو على الجملة ١٣)- فَلَمّا أُفرِدَ البيتُ ١١ استقلت عبارته بالجملتين ابتدائية فمعطوفة عليها.

وكانت عبارة البيت ١٤ في قصيدته، هي الجملة الكاملة ١٨ (الشرطية المستأنفة عن الجملة ١٧)- فَلَمّا أُفرِدَ البيتُ ١٤ استقلت عبارته بالجملة وحيدةً.

ولا يخفى أن كل بيت من هذه الأبيات الستة، قد خلا حين انتزع فاستعمل مفردا، من كل درجة من درجات التضمين السابقة؛ فلا تَجْميعَ فيه ولا إضْمارَ ولا تَكْميلَ، لا مُفْرَدَةً ولا مُرَكَّبَةً؛ فهو صِفْرٌ من التضمين، أو هو تضمين من الدرجة الصِّفْر، عند من يعدون الصفر درجة؛ فمن ثم احتاج تحديدُ عَدَمِ التَّضْمينِ على منهج التَّحْديدِ العَدَميِّ، إلى الفراغ من تحديد التضمين، كما يحتاج تحديدُ السُّكونِ بعَدَمِ الحَرَكَة، إلى الفَراغ من تَحْديد الحَرَكة!

الْخَاتِمَةُ

[١٤] مَيَّزَ العلماء في التَّضْمينِ الْعَرُوضيِّ (تَعْليقِ أَبْيَاتِ الْقَصيدَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ تَعْليقًا نَحْوِيًّا يُودِعُ الْبَيْتَ الْمُضَمَّنَ الْبَيْتَ الْمُتَضَمِّنَ بِحَيْثُ يَعُوقُ إِنْشَادَهُ دُونَهُ)، شَديدًا من خَفيف، فتَمَيَّزَ لديهم مِثالٌ قَبيحٌ مِنْ مِثالٍ غَيْرِ قَبيحٍ، حتى قضوا بأنه كُلَّمَا كَانَتِ الْعَلَاقَةُ النَّحْوِيَّةُ الْمُعَلِّقَةُ أَوْثَقَ كَانَ التَّضْمينُ أَشَدَّ؛ فَكَانَ مِثَالُهُ أَقْبَحَ- وكُلَّمَا كَانَتْ أَوْهَى كَانَ التَّضْمينُ أَخَفَّ؛ فَكَانَ مِثَالُهُ أَبْعَدَ مِنَ الْقُبْحِ.

وعلى رغم هذا المقياس الدقيق، تَخَطَّف العلماءُ أمثلتَهم من قصائدها تَخَطُّفًا - بل تَوارَثُوا بعضَها تَوارُثَ شَواهدِ الاحتجاجِ- من غير ضَبْطٍ يُقَدِّرُ درجات التضمين؛

فلم أجد بُدًّا في البحث عن ذلك من اختيار قصيدة كاملة ولا سيما قصيدة النابغة المشتملة على البيتين اللَّذَيْنِ كانا أُمَّ بَابِ تَمْثِيل التَّضْمين، وانتزاعِ البيت منها بعد البيت، وإنشادِ كل منها وحده، مُتَناسيا ما كان له من سياق، ومُتَخَيِّلًا ما يمكن أن يكون له، ثم موازنا بين ما كان وما صار، تَنْبِيهًا على طَرَفٍ من أسرار هذا الْحِرَاكِ اللُّغَوِيِّ الْبَاهِرِ!

لقد أراد النابغةُ أن يَنْهى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ عن إيذاء بَنِي أَسَدٍ، فقال قصيدته ذات الثلاثة والعشرين بيتا (الوافريّة الوزن التامة المقطوفة العروض والضرب، النونيّة القافية المكسورة المجردة)، في أربع الأفكار المتكاملة الآتية:

١ البكاء على الأطلال (١-٥).

٢ تعظيم قدر شعره وأثره (٦-٨).

٣ تسفيه رأي عيينة وتحذيره (٩-١٤).

٤ تعظيم قدر بني أسد وحقهم (١٥-٢٣).

فانتزعتُ كل بيت منها، وأنشدته وحده؛ فانتهيت إلى أن أبياتها قسمان:

- أبْيَاتٌ عَدِيمَةُ التَّضْمِيْنِ: ٦ أبيات (١، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٤).
- أبْيَاتٌ مُضَمَّنَةٌ: ١٧ بيتا في ستِّ درجاتٍ مُتصاعدةِ الشدَّةِ، تَصاعُدَ درجاتِ وَثاقةِ عَلاقاتها النحوية المُقَطَّعة، على النحو الآتي:

١ التَّضْمِينُ الْمُفْرَدُ التَّجْمِيعِيُّ: بيتان (٢١،٢٣).

٢ التَّضْمِينُ الْمُفْرَدُ الْإِضْمَارِيُّ: ٦ أبيات (٢، ٣، ٤، ٨، ١٢، ١٧).

٣ التَّضْمِينُ الْمُرَكَّبُ التَّجْمِيعِيُّ الْإِضْمَارِيُّ: ٣ أبيات (١٥، ١٨، ١٩).

٤ التَّضْمِينُ الْمُفْرَدُ التَّكْمِيلِيُّ: ٤ أبيات (٥، ٧، ١٣، ٢٠).

٥ التَّضْمِينُ الْمُرَكَّبُ التَّكْمِيلِيُّ الْإِضْمَارِيُّ: بيت واحد (٢٢).

٦ التَّضْمِينُ الْمُرَكَّبُ التَّجْمِيعِيُّ الْإِضْمَارِيُّ التَّكْمِيلِيُّ: بيت واحد (١٦).

ولقد تبين لي أَلَّا أَثَرَ لَازِمًا مَحْتُومًا في الأنصبة من الأبيات لتصاعد الدرجات، بل لخفايا رسالة الشاعر؛ فلا يخفى أن أبيات التعبير عن كل فكرة من الأفكار الثلاثة الأولى، قد جمعت بين عدمِ التضمين وبين تَضْمِينَيِ الإضمارِ والتكميلِ دون غيرهما من أنواع التضمين- وأن أبيات التعبير عن الفكرة الرابعة وحدها، قد جمعت بين أنواع التضمين الستة كلها، ولم يَعْدَمْ أيٌّ منها نوعًا من التضمين أو أكثر.

إن القارئ المتعجل يظن أن لب رسالة النابغة هو الفكرة ٣، ولكن الاحتكام إلى خروج التعبير سَبِيكَةً واحِدَةً مُتَلَاحِمَةً بِكُلٍّ لِحَامٍ من أَلْحِمَةِ القصيدة، يثبت أن لب رسالته هو الفكرة ٤؛ فتعظيم قدر بني أسد عنده وحقهم عليه، أشد نهيا لعيينة عن إيذائهم، مِنْ تسفيه رأيه وتحذيره!

كُتُبُ الْبَحْثِ

- ابن أبي ربيعة (أبو الخطاب المخزومي): "ديوانه"، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى في ١٣٧١هـ=١٩٥٢م، نشرة المكتبة التجارية بالقاهرة.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان) :

أ- "تفسير أرجوزة أبي نواس"، تحقيق محمد بهجة الأثري، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، الثانية.

ب- "الخصائص"، تحقيق محمد علي النجار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، الثالثة في ١٩٨٦م.

- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني): "العمدة"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة في ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، نشرة دار الجيل ببيروت.
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد الأندلسي): "العقد الفريد"، شرحه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، وقدم للطبعة الدكتور عبد الحكيم راضي،

نشرة الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، العدد ١١١ من سلسلة الذخائر، يناير ٢٠٠٤م.

- ابن مالك (جمال الدين الأندلسي): "شرح التسهيل"، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، طبعة دار هجر، الأولى في ١٩٩٠م.
- ابن منظور (أبو الفضل المصري): "لسان العرب"، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- ابن هشام (جمال الدين الأنصاري): "مغني اللبيب"، طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) بالقاهرة، ونشرتها.
- ابن يعيش (موفق الدين يعيش): "شرح المفصل"، نشرة مكتبة المتنبي بالقاهرة.
- الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة): "كتاب القوافي"، تحقيق الدكتور عزة حسن، نشرة وزارة الثقافة السورية، في ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
- أدونيس (علي أحمد سعيد): "هذا هو اسمي"، نشرة دار المدى بسوريا، في ١٩٩٦م.
- الإسنوي (جمال الدين الشافعي): "نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب"، تحقيق الدكتور شعبان صلاح، نشرة دار الثقافة بالقاهرة، في ١٩٨٨م.
- ربابعة (الدكتور موسى سامح): "ظاهرة التضمين العروضي في شعر الأعشى: دراسة في المفهوم والوظيفة"، بحث منشور بالمجلد٨ من مجلة جامعة الملك سعود بالرياض (الآداب١)، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

- الرضي (محمد بن الحسن الإستراباذي): "شرح كافية ابن الحاجب"، دراسة الدكتور يحيى بشير مصري وتحقيقه للقسم الثاني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، نشرة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- صقر (الدكتور محمد جمال): "الأمثال العربية القديمة: دراسة نحوية"، طبعة المدني بمصر، الأولى في ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- عبادة (الدكتور محمد إبراهيم): "معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية"، نشرة مكتبة الآداب بالقاهرة، في ٢٠٠١م.
- عبد اللطيف (الدكتور محمد حماسة): "الجملة في الشعر العربي"، طبعة المدني بالقاهرة، الأولى في ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد): "كتاب العين"، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، نشرة دار الرشيد بالجمهورية العراقية، العدد ١٦ من سلسلة المعاجم والفهارس.
- كشك (الدكتور أحمد): "القافية تاج الإيقاع الشعري"، طبعة القاهرة في ١٩٨٣م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): "الكامل في اللغة والأدب"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة.
- المعري (أبو العلاء أحمد بن سليمان): "الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ"، ضبطه وفسر غريبه محمود حسن الزناتي، طبعة دار الآفاق الجديدة ببيروت.
- النابغة (أبو أمامة الذبياني): "ديوانه"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بمصر ونشرتها، العدد ٥٢ من سلسلة ذخائر العرب.

* * *